المبحث الأول

اللغة العربية : المسيرة، السيادة، الاختلاف حولها

أولاً: أهمية اللغة:

معركة التعريب قضية أساسية من قضايا الوجود الحضارى والخصوصية الثقافية للأمة العربية والإسلامية. ومهما تعددت العوامل العرقية أو السياسية أو الاقتصادية في بناء المجتمع الإنساني المنظم فإن العامل اللغوى يبقى أقوى الوسائل لخلق المجتمع الموحد المتماسك.

تبرز أهمية اللغة في بنيان وتوحيد أية أمة فيما يلى[1]:

١- إن اللغة هى وسيلة التفاهم والاندماج الاجتماعى وعامل مهم في التجانس القومى، لأن استعمال لغة واحدة يؤدى إلى وحدة الرأى.

٢- إن اللغة ليست مجرد أسلوب تعبير بل هى أساساً وسيلة ونمط للتفكير، فاللفظ اللغوى ينطوى على معنى أو فكرة أو عاطفة. ومن وحدة اللغة تتحقق وحدة التفكير ووحدة السلوك بين الأفراد؛ ومن ثم يتحقق التماسك والتآلف الاجتماعيان.

٣- إن اللغة وعاء الثقافة، لأنها تشتمل على تاريخ الأمة وعلى ثقافتها وعلى أدبها من نثر وشعر وعلى تراثها الفكرى من علوم ومعارف، ولذلك فإن الكيان الثقافى للأمة مرتبط بلغتها ارتباطاً وثيقاً.

---

(١) د. أبو الفتوح رضوان، القومية العربية، ط ١٤ القاهرة: الهيئة المصرية للكتب والأجهزة العلمية، ١٩٦٩م) ص ١٨٦ مشار إليه في د. نازلى معوض المعريب والقومية في المغرب العربى، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو ١٩٨٦م) ص ٢٤ - ٢٥.

ثانياً: مسيرة اللسان (اللغة) العربى[٢]:

اللسان العربي سار مع الإسلام في مسيرته وواكبه في حركته، وانتشر بانتشاره، وتعربت الألسنة حتى أصبحت أصداء هذا اللسان تتردد في المشارق والمغارب، وإذا لم تتعرب الألسنة تماماً تعربت حروف الكتابة في لغاتها.

وفي العصر الحديث حرص الاستعمار على إضعاف الأساس الفكرى والاجتماعى للشخصية المسلمة والعربية، ثم هدمه، وذلك باستبعاد اللغة العربية بصورة تدريجية مستمرة مع الزمن سواء من محيط الفكر أم الثقافة أم من نطاق المعاملات الاعتيادية اليومية.

والمسلك الاستعمارى ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر اتخذ المحاور التالية:

---

(٢) انظر وقارن:

- د. نازلى معوض، مرجع سابق، ص ٢٨ - ٣٢.
- د. سيد رزق الطويل، اللسان العربي والإسلام: معاً في معركة المواجهة، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي - سلسلة دعوة الحق - العدد (٦٠) - ١٩٨٦م) ص ٤٠-١٣٣.
- عبد الكريم غلاب، "الثقافة المغربية المعاصرة" دراسات في التاريخ والسياسة والقانون والاقتصاد: مجموعة محاضرات الندوة الدبلوماسية لوزارة الخارجية في دولة الامارات العربية المتحدة (أبو ظبى: وزارة الخارجية، ١٩٧٩م) ص ٦٨ - ٦٩.
- محيى الدين صابر، "الأبعاد الحضارية للتعريب"، ندوة التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢م) ص ٧٢.

الأول: محاربة الحرف العربى وإحلال الحرف اللاتينى مكان الحرف العربى كما حدث في تركيا، وجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، والدول الإفريقية؛ وذلك حتى يقطع الروابط الثقافية بين هذه الشعوب والأمة الإسلامية.

الثاني: محاربة اللغة العربية في الوطن العربى واختلفت المناهج الاستعمارية كما يلى:

أ - الاستعمار اللاتينى (الفرنسى والإيطالى) اتبع سياسة استيعابية كاملة للشعوب العربية المستعمرة في لغته وثقافته وفكره ومثال ذلك الجزائر ودول المغرب.

ب - الاستعمار البريطانى اتجه إلى محاولة إبعاد اللغة العربية من مجالات الحياة العامة في السياسة والاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا ولكن دون التدخل في إعادة تشكيل الشخصية الإنسانية وفقاً لمقومات الحضارة الأوروبية الوافدة.

الثالث: ولم يكتف المستعمر بذلك وباسم المنهجية العلمية انتشرت الحملات الدعائية المشبوة التى دعت إلى اعتبار اللغة العربية المكتوبة من بين اللغات الجامدة غير المتطورة بسبب ثبات قواعدها النحوية وبنيانها الصرفى. وفي نفس الوقت تشجيع اللهجات الفطرية واعتبارها لغات قائمة بذاتها.

ثالثاً: واقع سيادة اللغة العربية في الوطن العربى[٣]:

واقع سيادة اللغة العربية في الوطن العربى يمكن حصره فيما يلى:

---

(٣) د. نازلى معوض، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧.

أولاً: بلدان المشرق العربى:

تتمتع اللغة العربية بسيادة اللغة العربية في قطاعات التعليم والإدارة، مع استخدام كثيف للغات الأجنبية في قطاعات التعليم الجامعى والعالى وفي كثير من مراكز البحوث العلمية فيها. فضلاً عن أن الارتقاء في السلم الاجتماعى يعتمد على إجادة اللغة الأجنبية واستخدامها.

ثانياً: بلدان المغرب العربى:

تعانى من حالة ازدواجية لغوية لأنه مازال للغات الأجنبية سلطانها باستمرار في الإدارة والاقتصاد والتعليم.

ثالثاً: بلاد عربية:

فيها وجود قانونى وسياسى للغة العربية، ولكن العربية غير قائمة فيها عملياً وثقافياً. مثل الصومال وجيبوتى وموريتانيا، والإقليم الجنوبى في السودان وكلها بلاد أقصيت منها العربية بسبب السياسة الاستعمارية الثقافية الاستيعابية.

رابعاً: موقف العلماء والباحثين من تعريب العلوم:

يمكن تصنيف موقف العلماء من قضية تعريب العلوم على النحو التالى:

١- فريق يناقض مبدأ تعريب العلوم منكراً قدرة اللغة على توليد مصطلحات العلم الإنساني في تطوره الحديث.

٢- فريق آخر يناقض تعريب العلوم ولكنه لا يعثر على دليل يسلب به اللغة قدرتها الاصطلاحية.

٣- وفريق ثالث يزكى قضية التعريب في مبدئها ثم يخاصم أشد الخصام أن تكون اللغة العربية قادرة على صياغة الألفاظ الفنية الدقيقة.

٤- وفريق رابع لايجادل أمر التعريب ولا أمر المصطلحات ولكنه إذا صاغها أساء الصنيع فيأتى على يديه من المصطلحات ما يجعل الناس ينفرون من المصطلح ومن اللغة التى جاءت به أصلاً، وهذا من أخطر الأصناف(٤).

٥- فريق خامس يؤمن بقضية التعريب، ويحاول الاستفادة من تقدم علوم اللغة، في إثراء اللغة العربية.

(٤) انظر: د. عبد السلام المسدى، "صياغة المصطلح وأسسها النظرية"، في كتاب "تأسيس القضية الاصطلاحية" تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات" - "بيت الحكمة"، ١٩٨٩م) - ص ١٠.